العصفور نور والدلفين سرور

حسن إمامي

قصة صداقة بين نور و سرور

لقد طلب نور من صديقيه أمين وهدى مَنْحَه متسعا من الوقت الكافي لاسترجاع ذكرياته، حتى يرويَ لهما قصتَه مع الدلفين سرور.

ما الذي يجمع، وسيجمع بين عصفور ودلفين؟

الأول يعيش محلقا في السماء، والثاني ينعم بحياته في الماء.

الأول، بريشه وحجمه الصغير، والثاني بأملس جلده وحجمه الكبير.

أهي الأصوات مشتركة بينهما؟

أم هو تحدٍّ بين السماء والماء؟

ربما.

لم تكن هذه الأسئلة هي المناسبة في مقام تفكير نور. ليست هي التي جمعت هذه الصداقة بين دلفين وعصفور.

فعلا، كانت صدفة التحليق جوانب الشاطئ، طمعا في رطوبة تضارب الأمواج، تُخفِّف من وطء حرارة أشعة شمس تستسلم هي كذلك لنعومة الشاطئ ومناخه الدافئ، هي التي جعلت العصفور يلاحظ حضور الدلفين.

الدلفين، هذا المخلوق العجيب، السريع بصوته، والنبيه بابتسامته وحركته وبصره:

عجيب، مجيب، نجيب!

نعم، لقد جمع كمْ من خصال، أبهرت عصفورنا نور، حتى إنه قرر لأجل مرافقته، في تَحَدٍّ لكل الأخطار، أن يَركَب مغامرة البحار، وهو الذي لا يقدر على بطش الحيوانات الكبار، ويمتلك أحلام الصغار:

- نور يا نور، يا صاحب الألوان البهية، يا عصفور!

كان هذا نداء البحار علي لصديقه العصفور.

كان العصفور نور، صديقا يستأنس البحار بحضوره وبصوته الشادي، فيُحضِر له طعاما، ويسترخي مُغنيا معه ألحانه. إنه البحار علي صاحب المركب المسمى "مركب السلام"، المزخرف بكل الألوان.

في كل مرة، يقف نور على عمود الشراع (الصاري)، يبدأ رحلته، حتى إذا توغل البحار مسافة في الماء، قاسَ هو ببصره وحدسه المسافة الفاصلة عن الشاطئ، وعاد محلقا ومودعا صاحبه، منتظرا عودته إلى بر الأمان.

أَلِف البحار علي هذه الرفقة، ومشاركته ألحان خروجه وعودته في كل رحلة.

إنما، هذه المرة، كان قرار نور مع نفسه في سرية. لاحظ هدوء البحر، ونعومة هوائه، وخفة ريحه. قرر مشاركة البحار علي في رحلته. هدفه منها معاودة رؤية المخلوق الأزرق الذي أبهره بلونه وحركته وصوته وابتسامته، حتى إنه تمنى أن يكون دلفينا مثله. ربما، ما يلوح على محيا كل دلفين، ذلك الشعور بالسعادة. ربما حبنا للدلافين بابتساماتها التي تملؤها سعادة في سعادة نحتاجها نحن البشر.

تفكر نور حُلْمه الذي جعله (يَغطِس في الماء ويُسارع الأسماك والدلافين في سرعة السباحة). لقد كانت قطرات ندى الصباح هي التي أيقظته فوق غصن شجرة الفلين، وسط عشه النعيم.

تأمل البحار علي الصاري (أعلى العمود)، لاحظ استقرار العصفور فوقه، وهدوءَه وانتظارَه.

قرّر البحار مراعاة حضور الضيف والترحاب به في فُلْك هذا البحر، وهذا الصيف، وإكرامه بالأغاني الممتزجة بألوان الطيف وقصيف البحر وأمواجه التي يغلب الكم فيها على الكيف.

لم يتوغل البحار كثيرا في أعماق البحر، خوفا على صديقه العصفور نور. كانت هناك مسافة كافية بقي معها أفق البر ظاهرا للبصر، وكان البحر زربية زرقاء ناعمة بهدوئها، مُستَمتِعة ومُستمِعة لأغنية البحار في كل رحلة:

يا بحور الدنيا هيا هيا

هذا علي جاء سعياَ*

بك العيش يحيا يحيا

لك الشمس أشرقت محيا*

يا مركب السلام هيا هيا

بشباك الصيد نمخر البحر جريا*

وحينما يستريح علي البحار من لحنه وأغنيته، يبدأ العصفور نور شَدْوَه.

فجأة، ومع هدوء تام، اخترق صوت الدلفين مدار المركب، كما اخترقَ صوتَ البَحار وصوتَ العصفور. كان مقلدا لهما في لحنِهما، وقافزا بين الماء والسماء في مُحياهما.

طار العصفور نور فرحا في السماء، رفرف بجناحيه كأنه وصل جنة أمانه.

كانت أمنيته في مغامرته هي معاودة رؤية الدلفين الأزرق سرور وتحقيق حلمه واللقاء به.

حكى العصفورُ له قصته مع الطفلين: أمين وهدى.

كما حكى له الدلفين سرور قصته مع حسناءِ الحسناءَ، ومع جمعية أصدقائه الشباب النبلاء.

وبدأت الصداقة والرفقة، وتبادلا التحليق والتصفيق. هذا بجناحيه وصوته، والآخر بتمايلاته مع الماء وقلقلة صوته في الهواء، وعلي البحار مستمتع برفقة ولعب نور وسرور، وشباكه مشغولة برزق هذا النهار المبرور، وهو في أغنيته التي يؤديها تحت قبعته، واتكائه على عمود شراعه:

.

يا بحور الدنيا هيا هيا

هذا علي جاء سعياَ*

بك العيش يحيا يحيا

لك الشمس أشرقت محيا*

يا مركب السلام هيا هيا

بشباك الصيد نمخر البحر جريا*

أصبح اللحن سمفونية جامعة بين البحار والعصفور والدلفين:

علي ونور وسرور

Imami Hassan إمامي حسن